التعليمة معرفة علمية خصبة*

أ.بشير إبرير
قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة عنابة

أولا – مقدمة:

نبدأ حديثنا بهذه الحكمة التي وردت عن الحكيم الصيني كونفوشيوس إذ قال: «**إذا أردت أن تؤسس لعام فازرع القمح، وإذا أردت أن تؤسس لجيل فشجر الأرض، وإذا أردت أن تؤسس للعمر كله فعلم الناس**».

نستنتج من هذه الحكمة أن التعليم أهم ما في الحياة؛ فهو العصب الحساس في أي مجتمع من المجتمعات، وهو الحامل الناقل لمفاتيح الوعي في الإنسان والأمة.

وإذا كان المثل المتداول بيننا في عصرنا يقول عن الرجل الذي يحقق إنجازات ونتائج ويبلغ مراكز مهمة: «**وراء كل رجل عظيم امرأة**» فإنّه

*** مداخلة قدمت في ندوة تربوية تكوينية لمعلمي التعليم الأساسي.**

بإمكاننا أن نقول قياسا عليه: «**وراء كل مجتمع راق مدرسة**»[1].

أردت أن أقدم هذا الموضوع: «**التعليمية معرفة علمية خصبة**» لأن هذا التخصص على أهميته في العملية التربوية، يكاد يكون مجهولا في منظومتنا التربوية بما في ذلك الجامعة الجزائرية، إذ ما زال فيها يعاني كثيرا من العناء والغبن[2].

وسأحاول في–البداية– أن أحدد **مفهوم التعليميات؟** لأن مفاتيح العلوم مصطلحاتها، وإذا أردنا أن نفهم علما ما فعلينا أن نحدد مصطلحاته ونفهمها، ونعرف كيف نقيم الحدود بينها ونبين الفروق بين هذا العلم وذاك، انطلاقا من مصطلحاته ومفاهيمه.

ثم سأحاول البحث عن **موضوع التعليميات، وعلاقتها بالمعارف الأخرى** مثل اللسانيات وعلم النفس وعلم الاجتماع والبيداغوجيا.

ثانيا – مفهوم التعليمية:

نشير إلى أننا نجد في اللغة العربية عدة مصطلحات مقابلة للمصطلح الأجنبي الواحد، ولعل ذلك يرجع إلى تعدد مناهل الترجمة، وكذلك إلى ظاهرة الترادف في اللغة العربية، وحتى في لغة المصطلح الأصلية؛ فإذا ترجم إلى لغة أخرى نقل الترادف إليها، من ذلك: «تعدد المصطلحات

---

1. انظر، عبد المالك مرتاض، مقدمة العدد 3 من مجلة اللغة العربية، مجلة فصلية يصدرها المجلس الأعلى للغة العربية 2000، ص:5.

2. نقول هذا الكلام تأكيدا للحقيقة وإقرار بها، فبالرغم من كون التعليمية معرفة علمية ثرية ولا بد منها في العملية التربوية والتعليمية فإننا لا نجد الجامعة الجزائرية قد خصصت لها شهادة ليسانس خاصة بها، بل أكثر من ذلك فإنها كمادة مستقلة ما تزال مهمشة في الجامعة، ولا يهتم بها إلا قليل من الأساتذة والباحثين.

المستقاة من الإنجليزية في شقها البريطاني والأمريكي.»[1] والشواهد على هذه الظاهرة كثيرة في العربية، سواء أتعلق الأمر بالإنجليزية أم بالفرنسية، باعتبارهما اللغتين اللتين يأخذ منهما الفكر العربي المعاصر على تنوع خطاباته والمعارف المتعلقة به.

ومنها مصطلح «DIDACTIQUE» الذي يقابله في العربية عدة ألفاظ:

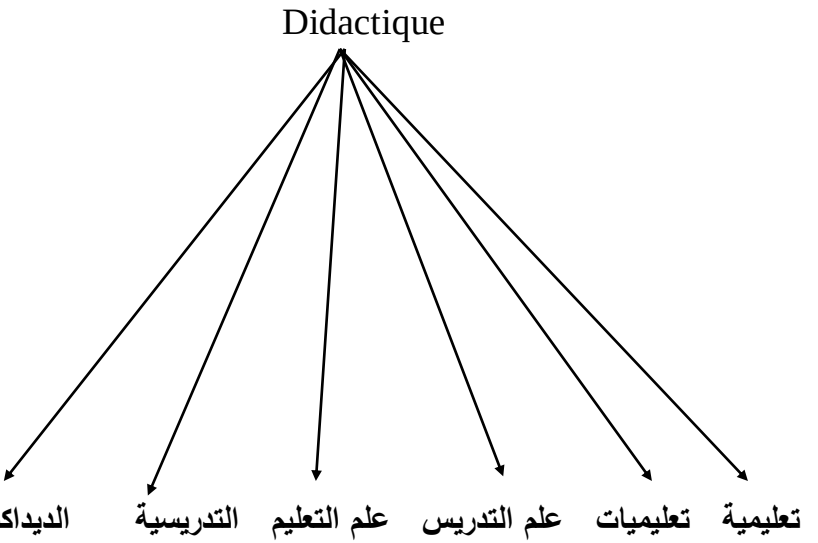

وتتفاوت هذه المصطلحات من حيث الاستعمال؛ ففي الوقت الذي اختار بعض الباحثين استعمال «**ديداكتيك**» تجنبا لأي لبس في مفهوم المصطلح، نجد باحثين آخرين يستعملون «**علم التدريس**» و«**علم التعليم**»،

1. يوسف إلياس، ترجمة النصوص الإخبارية، المجلة العربية للدراسات اللغوية، المجلد الثاني، العدد الثاني، رمضان 1404 هـ/يونيو 1984، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ص: 38.

وباحثين آخرين قلائل يستعملون مصطلح «**تعليميات**» مثل لسانيات ورياضيات...الخ. وأما مصطلح «**تدريسية**» فهو استعمال عراقي، لم يشع استعماله. غير أنّ المصطلح الذي شاع في الاستعمال أكثر من غيره هو: «**تعليميات**» ولذلك اخترته مقابلا لـ «**didactique**» بالرغم من الإغراء الذي يمارسه كل من مصطلح «**علم التدريس**» و «**علم التعليم**».

وقد عرّف جان كلود غاينون (J.C.Gagnon) في دراسة له أصدرها سنة 1973 بعنوان: «**ديداكتيك مادة**» (La didactique d'une discipline)، التعليمية كما يلي:

«إشكالية إجمالية ودينامية، تتضمن:

– تأملا وتفكيرا في طبيعة المادة الدراسية وكذا في طبيعة وغايات تدريسها.

– إعدادا لفرضياتها الخصوصية، انطلاقا من المعطيات المتجددة والمتنوعة باستمرار لعلم النفس والبيداغوجية وعلم الاجتماع... الخ.

– دراسة نظرية وتطبيقية للفعل البيداغوجي المتعلق بتدريسها.»[1]

ونستنتج من هذا التعريف أن التعليمية علم مستقل بنفسه وله علاقة وطيدة بعلوم أخرى وهو يدرس التعليم من حيث محتوياته ونظرياته وطرائقه دراسة علمية. وهو في ميدان تعليم اللغة يبحث في سؤالين مترابطين ببعضهما هما، **ماذا ندرس ؟ وكيف ندرس ؟.**

ويتعلق السؤال الأول بالمادة الدراسية من حيث كمها وكيفها بالنظر

1. رشيد بناني، من الديداكتيك إلى البيداغوجيا، الحوار الأكاديمي والجامعي، الدار البيضاء، ذ 1 ، 1991، ص: 39.

إلى معجمها ودلالتها ونحوها وأصواتها، وبجرد الأبنية أو الأشكال اللغوية والمفاهيم التي تتماشى مع احتياجات المتعلمين، وتجيب عن هذا السؤال اللسانيات التطبيقية، وهو تخصص يتداخل كثيرا مع التعليمية.

أما السؤال الثاني فيتعلق بتحديد نوعية المتعلمين وحاجاتهم وميولهم، ثم تحويل أو ترجمة هذه الحاجات والميول إلى قوالب لغوية ومفاهيم، ثم تكييفها بما يستجيب للمتعلمين والأهداف والوسائل التعليمية المتوفرة، ويجيب عن هذا السؤال علم منهج تدريس اللغات méthodologie de l'enseignement des langues وكذلك تخصصات أخرى لها صلة وثيقة بالتعليمية مثل: علم الاجتماع، وعلم النفس، وعلم التربية، ونظريات التعليم، وعلم الاختبارات والتقويم La docimologie، وتكنولوجيا التربية.

ثالثا – موضوع التعليمية:

تطرح موضوعات عديدة على بساط البحث في التعليمية، إذ يمكن أن يهتم المتخصص فيها بعدة اهتمامات لا تنحصر في المادة وحدها، وإنما تمتد لتشمل كل ما يتعلق بالعملية التعليمية في مختلف أبعادها ومساراتها، في ترابط وتناسق وانسجام بين مختلف عناصرها المكوّنة **لنظام التعلم والتعليم** الذي يمكن تفصيله كما يلي:

1. معرفة عينة المتعلمين، من هم؟ أصغارًا أم كبارًا؟ وما هو مستواهم المعرفي، ومعرفتهم السابقة بمواد التخصص الذي يدرسونه، وبالمادة التي سيدرسونها مجددا؟ وما هي خصوصياتهم النفسية والاجتماعية، وخصائصهم كجماعة من المتعلمين يضمهم قسم واحد؟ والخصائص المميزة لهم كأفراد؟.

فالإجابة عن هذه الأسئلة تمكن الباحث في التعليمية[1] من تحديد حوافز المتعلم ودوافعه المختلفة نحو التعلم وموقفه من المادة وعلاقته بالمحيط واستعماله للغة[2]

2. المعلم: في هويته وتكوينه وخصائصه النفسية والمعرفية والاجتماعية، وعلاقته بالتوجهات العامة للتعليم، وأساليب ممارسته وطرائق تبليغه وأدائه.

3. المحتوى: ويتمثل في كل ما يمكن تعليمه وتعلمه، وجملة المعارف العلمية والفنية المكوّنة لمحتوى البرنامج المقرر؛ فيمكن الباحث في التعليمية أن يدرس المحتوى التعليمي دراسة وصفية أو تحليلية، أو مقارنة أو من منظور اللسانيات الاجتماعية Socio-linguistique أو من منظور اللسانيات النفسية[3] Psycho-linguistique، من أجل تحديد مقاييس انتقاء المادة بدقة، ففي تعليمية اللغة مثلا، توجد عدة مبادئ لاختيار المادة اللغوية، **فليس كل ما في اللغة ضروريا للمتعلم؛** إذ « يقتصر المتعلم في تعبيره الشفوي والكتابي على بعض العناصر اللغوية دون غيرها، فلا يستعمل كل ما في اللغة مهما كانت درجة ثقافته وسعة ثروته اللغوية، وهذا القدر المشترك في الاستعمال بين الناس جميعا لتأدية الأغراض التبليغية الضرورية هو الذي

1. استعملت "الباحث في التعليمات" مقابلا للمصطلح الأجنبي "Didacticien"، الديداكتيكي أو التعليمي أو التعليماتي أو الخبير في التعليم.

2. عبد اللطيف الفاربي، مدخل إلى ديداكتيكا اللغات حقول ومجالات اشتغال الديداكتيكي، مجلة ديداكتيكا، العدد (1)، ص7المرجع نفسه، ص7.

3. المرجع نفسه، ص: 7.

يحتاجه المتعلم.»[1]

يقول الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح في هذا المقام: « لا يحتاج المتعلم إلى كل ما هو ثابت في اللغة للتعبير عن أغراضه، بل تكفيه الألفاظ التي تدل على المفاهيم العادية وبعض المفاهيم العلمية والفنية أو الحضارية مما تقتضيه الحياة العصرية، أما اللغة التقنية التي سيحتاج إليها بعد اختياره لمهنة معينة ثم الثروة اللغوية الواسعة، فهذا سيكون من مكتسباته الشخصية، يتحصل عليها على ممر الأيام في مسيرته الثقافية وفي تلقيه لشتى الدروس غير دروس اللغة.»[2]، وليس كل ما في اللغة يناسب الطفل أو المراهق من حيث الألفاظ والتراكيب في مرحلة معينة من مراحل نمو الطفل وارتقائه[3].

وبإمكان الباحث في تعليمية اللغات أن يقوم بإحصاء المستوى الإفرادي للغة، من أجل تحديد عناصرها اللازمة للتعليم، وذلك تسهيلا لعمل المتخصص في تعليم اللغات؛ لأن الإحصاءات وسيلة فعالة تمكن الباحث من إجراء تحليلاته ومقارناته بين الطرائق المختلفة، ليعرف مواطن الضعف فيها، ويقترح لها الحلول المناسبة[4].

---

1. عبد المجيد سالمي، مدخل إلى علم تعليم اللغات، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، معهد اللغة العربية وآدابها، عدد 5، 1995، ص 140.

2. عبد الرحمان الحاج صالح، أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، مجلة اللسانيات، عدد 4، 1974، ص 44.

3. المرجع نفسه، ص 44..

4. عبد المجيد سالمي، المرجع نفسه، ص 140-141.

وبالإضافة إلى الفرق بين المنطوق والمكتوب وأسبقية المشافهة على التحرير، فهناك اختلاف من حيث الكم والنوع بين العناصر اللغوية في الخطابات الشفوية والمكتوبة، وهو ما يجب مراعاته في وضع طرائق لتعليم لغتنا، إذا أردنا أن نجعلها ذات استعمال عفوي متداول[1].

4. مؤسسة التعليم: أين تقع ؟ في بيئة اجتماعية مدنية أم ريفية؟ وهل هي قادرة على توفير وسائل العمل اللازمة؟ وما هي القوانين التي تسيرها؟

5. معرفة الأهداف: ما نوعها؟ أهي عامة أم خاصة أم إجرائية؟ وهل تتعلق بمهارات عامة أم بمعارف معينة؟ ومن يختارها ويحددها؟؛ فقد جلبت أنظار الاختصاصيين في التعليمية أهمية الأهداف في نظام التعليم، بغية الوصول إلى الطريقة المثلى التي توضح لنا كيف نؤسس تعليمية ما على أهداف تربوية تعليمية مدروسة بدقة، وبإمكانها أن تجيب عن التساؤلات الآتية:

هل يهدف التعليم أساسا إلى إكساب المتعلم معلومات أو مهارات أو سلوكا أو اتجاها فكريا محددا مثل النقد أو الإبداع أو الاستظهار، وهل يهدف التعليم إلى إكساب المتعلم إشكاليات حقيقية وإطلاعا معمقا على المفاهيم، وتحكما فيها والربط بين علاقاتها المختلفة[2].

6. الأنشطة: أي ما هي الأنشطة التي يقوم بها المعلم في تبليغه لمعلوماته، والتي تتعلق بمهارات السمع والكلام والقراءة والتصحيح؟ فهناك

---

1. المرجع نفسه، ص 141.

2. إدريس مولاي شابو، ما هي التعليمية، مجلة المبرز، العدد 5 جانفي جوان 1995، ص:33.

أنشطة شفوية وأخرى كتابية، ولا يمكن الاهتمام أو الاكتفاء بجانب واحد منهما، وإنما بينهما انسجام وتكامل، ثم إن هذه الأنشطة منها ما يتعلق بالمعلم، ومنها ما يتعلق بالمتعلم ولذلك تسمى الأنشطة التعليمية – التعلمية؛ فمن ذلك مثلا إتاحة فرص الحديث للمتعلم عن موضوعات ضمن سياقات مختلفة مع بقية المتعلمين داخل القسم، وما يتطلبه ذلك من تبادل للأدوار بينهم وإنماء لملكتهم التبليغية، كما يمكن تشجيع المتعلمين على الإنصات الجيد، مع التحلي بالصمت في حالات الاستماع المختلفة والاستعداد للرد السريع شفويا، ومعرفة متى يكون ذلك، ومتى يلتمس الكلمة والتمييز بين أنواع الخطابات التي توجه إليه، وأغراضها المختلفة وما إذا كانت بغرض الإقناع أو التوضيح أو التأثير أو لفت الانتباه إلى أمر ما أو الاستدلال والمحاجة، والتكلم بجرأة ووضوح باستعمال جمل مفيدة، وعدم الاقتصار في الإجابة على كلمة واحدة، وتمرينهم أيضا على آداب الحديث والمناقشة وما تتطلبه من قدرات مختلفة مثل: التكيف مع أحوال الخطاب المختلفة، ومعرفة الفروق بين مخاطبة الصغير ومخاطبة الكبير، ومن هم في منزلة اجتماعية يقتضي مقامها الحرمة، ومن هم في منزلة أدنى واختيار الخطاب المناسب، وما يقتضيه من كلمات وتراكيب، فلا يكتفي المعلم بتبليغ محتويات معلوماته، وإنما يمكنه أن يعمل على إكساب المتعلمين المهارات المختلفة التي تدعم ملكة التبليغ مشافهة وتحريرا[1].

1. بشير إبرير، توظيف النظرية التبليغية في تدريس النصوص بالمدارس الثانوية الجزائرية، رسالة دكتوراه دولة، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة عنابة 2000، ص: 248–249.

ولابد من التأكيد على الأنشطة الكتابية أيضا، لأهميتها في إكساب المتعلم ملكة التفكير النافذ، فكتابة الموضوعات والتعليق عليها وتلخيصها ووضعها في رؤوس أقلام من شأنها أن تطور استراتيجيات متقدمة في التفكير؛ «فالأعمال الكتابية ذات طبيعة خلاقة، حيث تدفع إلى التفكير المتعمق وإعمال الذهن وتوجيهه نحو اكتشاف المعاني والأفكار والعلاقات...»[1].

ونشير – في كل هذا – إلى أن دور المعلم يكمن في تدخلاته المنهجية وتوجيهاته الضرورية فقط، ويمكن أن يبقى جانبا في بعض الحالات اللازمة، فلا يتدخل في كل صغيرة أو كبيرة، ليدع المجال للتلاميذ يعبرون بأنفسهم عن أنفسهم ويتخاطبون، فذلك يؤدي إلى روح التنافس المثمر، وتقوية دوافع التلاميذ نحو التعلم[2].

7. الوسائل: التي يمكن استعمالها في أداء العملية مثلا:

هل قسم أم مخبر؟ هل كتاب أم مطبوعة أم صور أم أشرطة ؟... الخ.

8. النتائج التي تم تحقيقها فعلا، وهل تم تحقيق الأهداف المحددة ؟ وما نسبة ذلك التحقيق أو النجاح ؟ وهل بإمكان المتعلمين أن يشاركوا في

1. حمدان علي نصر، أثر استخدام نشاطات كتابية وكلامية مصاحبة على تنمية بعض مهارات القراءة الناقدة، دراسة تجريبية، المجلة العربية للبحوث التربوية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المجلد 16، العدد 1، 1996، ص: 226.

2. بشير إبرير، المرجع المذكور سابقا، ص:249–250

تقويم النتائج المتوصل إليها؟[1] وما هي الثغرات التي ظهرت ومن اللازم سدها؟ وما هي الصعوبات التي تواجه المعلمين والمتعلمين معا في التعليم والتعلم ؟ وهل يتعلق ذلك بالطريقة أم بالمتعلم؟ أم بالمحتوى أم بالوسائل أم بالمعلم؟ باعتباره العنصر الأول في العملية التعليمية ؟ وكيف يتم تصحيح كل ذلك ؟ أم بعملية التقويم في حدّ ذاتها؟

إن ما يمكن أن يبحثه المتخصص في التعليمية يمكن أن نلخصه كما يلي:

« **متعلمون** في علاقة مع:

- **معلم** لكي يتعلموا
- **محتويات** داخل إطار
- **مؤسسة** من أجل تحقيق
- **أهداف** عن طريق
- **أنشطة** وبمساعدة
- **وسائل** تمكن من بلوغ
- **نتائج.**»[2]

وإن أهم الموضوعات التي يمكن أن تكون الانشغالات الأساسية للتعليمية، وعلى المتخصص في هذا الميدان أن يبحثها تتمثل – حسب كلود

1. يوجد كثير من الجامعات في العالم يقوم فيها المتعلمون– في نهاية كل سنة– بملء استمارة تقويم عن الأستاذ، وهذا لا وجود له على الإطلاق في بلادنا، بل حتى ذهنيا هو غير مقبول لعوامل عديدة ليس هذا مجال ذكرها.

2. عبد اللطيف الفاربي وعبد العزيز الغرضاف، كيف تدرس بواسطة الأهداف، الدار لبيضاء، ط 1، 1989، ص: 17.

بيجين CLOUDE BEGIN في مقالة له عنوانها:

La didactique et ses principales préoccupations[1] في: تحسيس المدرسين بمشاكل التعليم المختلفة، وجعلهم يعرفون بعض أهداف التعليم وبعض وسائل بلوغها وتيسير التعليم، وتنمية المهارات العقلية (مثلا مهارة الحساب الذهني، حل بعض المشاكل، التفكير الاستدلالي...)، والبحث عن الحد الأدنى من التعليم، فماذا يتبقى منه، إذ هناك معارف مهمة كثيرة يطالها النسيان.

وإثراء الوسط التربوي بالتصدي للمعرفة وفهمها، خصوصا أن هذا العصر الذي نعيشه هو عصر المعرفة، ولا مكان فيه لمن لا معرفة له، وكذلك تحفيز التلاميذ نحو المواد الدراسية وتشويقهم للتعليم، وبيان أهمية المواد الدراسية ووظائفها في المجتمع، وكذلك تكوين المعلمين وتحسين أدائهم البيداغوجي، والقيام بالبحث في المواد التعليمية، وفي تنظيم عملية التعليم والتعلم والبحث – أيضا – في بناء المناهج وتطوير البرامج التعليمية، دون أن ننسى في كل هذا البحث التقويم وأساليبه وأنواعه، وأهميته في العملية التعليمية.

رابعا. علاقة التعليمية بالمعارف العلمية الأخرى:

تتداخل التعليمية مع عدة تخصصات علمية أخرى إلى درجة يصعب التفريق بينها في بعض الأحيان، فهي في إيطاليا ترادف علم النفس اللغوي وعلم النفس التربوي، ويتداخل مفهومها إلى حد الالتباس في – بلجيكا – مع البيداغوجيا، بينما يرتبط في فرنسا باللسانيات التطبيقية، دون أن ننسى

1. رشيد بناني، المرجع المذكور سابق، ص: 72 وما بعدها.

اللسانيات العامة والصوتيات وعلم النفس، العام وخصوصا ما تعلق منه بنظريات التعلم، وعلوم أخرى اهتمت بالمجال الاجتماعي الثقافي، مثل الاقتصاد والتاريخ والجغرافيا وعلوم عريقة مثل الأدب والفلسفة...

ويفسر ماري Mariet «هذا الحضور المكثف لمختلف الفروع والعلوم بالموقع الاقتصادي الهام لتعليمية اللغات، فقد كانت بحكم التطور الذي عرفته موردا هاما للعمل، ووجدت فيها بقية العلوم الأخرى ضالتها بما أنها تدرس المادة – والمتعلم – والطرائق.»[1].

ولهذا.. فإن الباحث في التعليمية يجد نفسه مضطرا للبحث في علوم أخرى، ذات علاقة ومنافع متبادلة بينها وبين التعليمية[2]، ومنها:

1. اللسانيات: فقد استفادت تعليمية اللغات من اللسانيات استفادة كبيرة على تعاقب مدارسها ونظرياتها، فقد قدمت المدارس اللسانية ونظرياتها التي انبثقت عنها للتعليمية إمكانية التفكير والتأمل في المادة اللغوية، وبنياتها والمناهج التي تحكمها، وذلك انطلاقا مما قدمه سوسير F.Saussure في المدرسة البنيوية "Le structuralisme"، وبلومفيلد L.Bloomfield في المدرسة التوزيعية L'école distributionnelle، ومدرسة شومسكي N.Chomsky التوليدية التحويلية L`école générative transformationnelle، وما قدمته المدرسة الإنجليزية مع فيرث FURTH ثم تطورت بفضل تلميذه مايكل هاليداي M.Halliday وديل هايمس Dell

1. عبد اللطيف الفاربي، مدخل إلى ديداكتيكا اللغات، ص: 8.

2. تتبادل التعليمية المنافع مع كثير من العلوم ومنها اللسانيات، لأن تعليمية اللغات تستفيد من اللسانيات والعكس كذلك، إذ تستفيد اللسانيات من التعليمية فتصير موضوعا من موضوعاتها في إطار العملية التربوية.

Hymes ، وقد نتج عن كل هذه المدارس عدة مفاهيم، كان لها بالغ الأثر في تعليمية اللغات، ومن أهم تلك المفاهيم مفهوم النظام عند سوسير؛ ففي رأيه أن اللغة نظام محكم يتكون من مستويات للتحليل هي: المستوى الصوتي والصرفي والنحوي والمعجمي والدلالي، «ومن ثمة فإن تحديد تلك الأبنية ووحداتها وما يربط بينها من علائق متنوعة من شأنه أن يعين على معالجة المواد اللغوية المدرّسة، معالجة بيداغوجية مخصوصة يراعى فيها التدرج من البسيط إلى المعقد، والانتقال من الشبيه إلى الشبيه به أو المقابل له، وهو ما يساعد على ترسيخ المعلومات المقدمة في أذهان المتعلمين، وتيسير عملية استحضارها من قبلهم كلما شعروا بالحاجة إلى ذلك...»[1]. إن الرؤية الوصفية للغة التي ترسخت في منهج مستقل بها عند سوسير لم يتوقف تأثيرها في التعليمية فحسب، وإنما امتد ليطال مناهج تحليل النصوص الأدبية.

ولعل أحسن استثمار لمفهوم البنية في تعليمية اللغات يتمثل في التمارين البنوية exercices structuraux التي تعتمد على مفاهيم التقابل l'opposition، والتشابه l'analogie، والاختلاف le contraste، في فهم اللغة وإدراك مدلولاتها.

ومن بين مظاهر التأثير أيضا أن أعيد الاعتبار للغة المنطوقة، فأصبحت لها أهميتها في الوصف والدراسة، وهي نظرة جديدة، لم تكن من قبل عندما كانت تسود الدراسات التاريخية والمقارنة التي كانت تركز على

1. محمد صالح بن عمر، كيف نعلم العربية لغة حية؟ بحث في إشكاليات المنهج، دار الخدمات العامة للنشر، تونس، ط 1، 1998، ص: 16.

النصوص المكتوبة لكبار الأدباء، إن اللغة المنطوقة تتميز بالنشاط والحيوية، من ذلك أن الطفل لا يشرع في تعلم اللغة المكتوبة إلا بعد أن يتعلم اللغة المنطوقة.

وقد استفادت تعليمية اللغات أيضا من اللسانيات في جانبها الصوتي في تصحيح النطق لدى المتعلمين، خصوصا في تعلم اللغات الأجنبية، بالإضافة إلى أن معظم المدارس اللسانية قد اتخذت من الجملة وحدتها الأساسية في دراسة اللغة، بالإضافة إلى تكوين الأرصدة اللغوية الأساسية التي يحتاجها المتكلمون باللغة في أغلب شؤون حياتهم، وقضاء حوائجهم[1].

ومن بين أهم المفاهيم اللسانية التي كان لها تأثير واسع في تعليمية اللغة مفهوم "**الملكة اللغوية**" La compétence linguistique[2]، ويقابلها مفهوم "**الأداء أو الإنجاز**" "La performance"[3]، وهما مفهومان أساسيان في المدرسة التوليدية التحويلية، فالملكة اللغوية تمثل جملة القدرات والاستعدادات التي تمكن الفرد من إنجاز اللغة بعد ذلك، بمعنى أن الإنجاز هو استثمار للملكة.

وإن ما جاء به شومسكي في هذا الإطار على قدر كبير جدا من الأهمية في تعليمية اللغات، غير أنه يظل غير كاف في نظر أصحاب

---

1. المرجع نفسه، ص: 17 وما بعدها.

2. تحدث عن الملكة اللغوية العلامة عبد الرحمن بن خلدون في كتابه المقدمة بقرون طويلة قبل تشومسكي؟ وتعادل الملكة عند الفارابي وغيره من علماء العرب القدامى "الموجود بالقوة"، غير أن هذا لا يعني إلغاء الجهود العظيمة لتشومسكي وغيره من علماء الغرب وإضافاتهم العظيمة للفكر الإنساني خصوصا من حيث الضبط المنهجي والتأسيس النظري.

3. يعادل عند العرب القدماء "الموجود بالفعل"

المدرسة الإنجليزية التي تسمي بالفيرثية الجديدة نسبة إلى "فيرث FURTH" صاحب نظرية سياق الحال في بداية الأربعينات. ولهذا أضاف "ديل هايمس" مصطلحا آخر هو: **الملكة التبليغية/التواصلية** la compétence communicative.[1]

إذ تشكل موضوعا للبحث على درجة كبيرة من الأهمية في الدراسات العربية والغربية على حد سواء، وقد ألفت في ذلك كتب كثيرة ورسائل جامعية متعددة.

تعني الملكة التبليغية «القدرة على استعمال اللغة في مختلف الأحوال الخطابية لشتى الأغراض.»[2] وهي بهذا تتعدى الملكة اللغوية التي تعني القدرة على التركيب السليم للنماذج الصوتية، والمعجمية والنحوية والنصية لنظام اللغة.

إن الملكة التبليغية لا تعني معرفة النظام الصوتي والصرفي والنحوي فقط؛ وإنما تتعدى ذلك إلى معرفة معايير وقواعد التوظيف، وقدرة المتكلمين في ذلك، فلا تتضمن العناصر والبنيات اللسانية وحدها، بل تشمل أيضا قواعدها الاجتماعية، ومعرفة سياقاتها وكيفيات استعمالها حسب مقتضيات أحوالها[3].

---

1. الحديث عن الملكة التبليغية في عصرنا لا يخرج عما تحدث عنه علماء اللسان والبلاغة العرب والبحث عن جذور النظرية التبليغية في التراث العربي على قدر كبير من الأهمية، انطلاقا من سيبويه في القرن الثاني، وصولا إلى ابن خلدون في القرن الثامن الهجري.

2. عبد الرحمن الحاج صالح، علم تدريس اللغات والبحث اللغوي في منهجية الدرس اللغوي، ص: 10

3. انظر .Dell Hymes, Vers la compétence de communication, Paris, 1984, p:124

وهكذا تشكل اللسانيات للباحث في التعليمية ميدانا لدراسة الظواهر التي يلاحظها في أبحاثه ويفسرها، ومجالا لتقديم تصورات أو خطط وإجراءات منهجية، بغية تعليم اللغات وتعلمها وذلك على مستويين؛ مستوى مفهومي أو نظري، ومستوى منهجي أو تطبيقي.

2. علم النفس بأنواعه:[1]

يشكل علم النفس بأنواعه خلفية نظرية للكثير من النظريات والمقاربات les approches التي تشكل مجالا لاهتمامات الباحث في تعليمية اللغات؛ فالنظريات التي تعمل على تنمية آليات الاستعمال اللغوي تستند إلى خلفية معرفية، تتعلق بعلم نفس السلوك الذي يعد مظاهر السلوك الملاحظة في الكلام منطلقا لدراساته، والاستجابات نحو المثيرات المختلفة، وتتأسس المقاربات التواصلية على النظريات النفسية البنائية أو علم النفس التكويني أو المعرفي كما يسمى أحيانا، باعتبارها تعد التعلم عملية تفاعل بين الذات العارفة وموضوع المعرفة، إن علم النفس يجيب عن كثير من التساؤلات المتعلقة بالحياة التعليمية التعلمية ويقدم معلومات ثمينة عن الحاجات اللغوية، والدوافع نحو التعلم واستراتيجياته، ويحاول أن يجيب عن أسئلة مثل: كيف يتلقى التلميذ خطابا؟ وما هي أهم الصعوبات والعقبات التي تواجهه؟ وما هي مجمل العلاقات بين تعلم لغة من اللغات، وبين عناصر مثل: الشخصية والذاكرة والإدراك والفهم[2]

1. نقول: علم النفس بأنواعه؛ لأن التعليمية تستفيد من علم النفس العام وعلم النفس التربوي وعلم النفس اللغوي.

2. انظر عبد اللطيف الفاربي، مدخل إلى ديداكتيكا اللغات، ص: 9.

3. علم الاجتماع بأنواعه[1]

إذا كانت التعليميات قد استفادت من حصاد علم النفس، فإنها قد استفادت أيضا من حصاد آخر لا يقل أهمية عن الأول، وهو حصاد علم الاجتماع؛ لأن اللغة ظاهرة اجتماعية أولا وقبل كل شيء، تلعب دورا حاسما في التواصل بين الأفراد والمؤسسات الاجتماعية المختلفة، ولهذا فإن علم الاجتماع يجيب عن العديد من الأسئلة المتعلقة بالتعليمية من مثل الاستعمالات اللغوية المختلفة، من يستعملها ومع من يستعملها؟ وكيف يستعملها؟ وعمّ يستعملها؟ وما هي جملة القواعد الاجتماعية المتحكمة في ذلك؟ وما هي الاستعمالات اللغوية الممكن استثمارها في المؤسسة التعليمية؟ وما هي الأوضاع اللغوية وغير اللغوية وأنماط التواصل الشفوي والمكتوب، وما تؤديه الحركات والإيماءات وأنظمة التبليغ غير اللغوي، وعلاقة ذلك بطرائق التعليم، وما هي المظاهر الثقافية والحضارية لمجتمع لغوي معين مثل الازدواجية اللغوية، والتعددية...، وأنساق القيم والعادات والتقاليد والأعراف المعبر عنها في محتوى لغوي مقرر على التلاميذ في مرحلة دراسة معينة.

4. البيداغوجيا:

تشترك التعليميات والبيداغوجيا في مسارات اكتساب المعارف وتبليغها، لكن التعليميات تعالج محتويات المعرفة بصفة خاصة، بينما تهتم

1. نقول: علم الاجتماع بأنواعه؛ لأن التعليمية تستفيد من علم الاجتماع العام وعلم الاجتماع التربوي وعلم الاجتماع اللغوي وعلم الاجتماع الثقافي.

البيداغوجيا بالعلاقات بين المتعلمين والمعلمين[1] ونسجل وجود تداخل كبير بين البيداغوجيا والتعليمية، حتى أنه يصعب التفريق بينهما ورسم الحدود التي تميز هذا عن ذاك، فهنالك من يرى بأن تعليمية اللغات هي عبارة عن امتداد للبيداغوجيا ومنتوج ووليد جديد لها[2].

إن المهم في كل هذا هو أن تعليميات اللغات والبيداغوجيا تتبادلان المنافع، شأنهما شأن اللسانيات وعلوم النفس والاجتماع كما سبق أن رأينا وما يمكن التأكيد عليه أن الأسئلة التي تجيب عنها البيداغوجيا تتمثل في: العلاقات بين المعلم والمتعلم، واستعمال الطرائق والتقنيات التربوية، واستعمال الوسائل المختلفة في العملية التعليمية، وأساليب تقويم التعليم والتعلم...الخ.

خامسا. خلاصة:

ومحصول الحديث من كل هذا هو أن التعليمية تعد تخصصا علميا بالغ الأهمية، نظرا للمعارف الخصبة التي يقدمها لأعوان العملية التربوية والتعليمية في آن واحد، والتي يمكن استثمارها في اكتساب المعارف وتبليغها، ومعالجة المحتويات الدراسية وبنائها البناء المنهجي المناسب حسب ما يقتضيه نظام التعلم والتعليم.

كما أن التعليمية تتبادل المنافع مع كثير من العلوم الأخرى مثل: علم النفس التربوي، وعلم النفس العام، وعلم النفس اللغوي، وعلوم التربية واللسانيات بفروعها، وعلوم عريقة أخرى مثل الفلسفة والأدب والتاريخ...

---

1. انظر ميشال دوهلاي، التعليمية والبيداغوجيا، مجلة معالم، العدد 1، 1997، دار مارينور للنشر، الجزائر، ص: 181.
2. انظر رشيد بناني، من الديداكتيك إلى البيداغوجيا، ص: 45.

فكل هذه العلوم توظفها التعليمية وتستفيد منها في بناء مصطلحاتها ومفاهيمها ومعارفها ورسم حدودها الفارقة التي تميزها عن غيرها من التخصصات العلمية الأخرى، ثم إن هذه العلوم تستحيل بدورها إلى موضوعات للدراسة في ميدان التعليمية فنقول: تعليمية الأدب واللغة أو الفلسفة أو اللسانيات أو التاريخ...الخ.